تكريم الأستاذ الدكتور/ عبد السلام عبد الغفار

بقلم أ.د./ طلعت منصور

إرادة وجود... وإرادة عطاء

الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار سيرة من الفكر والإبداع ...ومسيرة من العمل والإقناع حركة دينامية محلقة من رؤى العقل ، تهبط إلى أرض الواقع بحثا وتطويرا ..حركة موصولة بين النظر والتطبيق ليكون في علمنا نفع ووظيفة ..صعودا ونزولا ..صعودا بعمل العقل وفي آفاق التأمل والنظر، هبوطا إلى أرض الواقع بروح العالم والإنسان ، فلا تظل معرفته حبيسة العقل والمكتوب ، بل تنطلق إلى رحابة الفعل والعمل المدروس والمحسوب .. وما يربط سماء الفكر ودنيا الفعل بسموا الوجدان في حركة متجددة ومتنامية تدفعها وتوجهها إدارة وجود، وإدارة عطاء، ويظل هذا العالم والإنسان والمواطن هو الإدارة نهرا عذبا متجددا يفيض بكل معاني الحياة وينساب خيرا ونماء.

ومن يمن الطالع أن يكون اليوم هو يوم مولد النجم ، نجم هذا العالم العامل، وبهذه المناسبة ولحسن الطالع نهنئه بعيد ميلاده الذي فيه اليوم العقد السابع من عمره أطال الله عمره ، وأعطاه موفور الصحة والسعادة.

عبد الغفار حقيقة ! نموذج يحتذي به ، سيرة ومسيرة بدأها طالبا دارسا للعلوم بكلية العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٥٢م ، وبرع في كل الشهادات العلمية ، الدبلومة العامة ، والخاصة والماجستير في التربية والصحة النفسية إلى حصوله على الدكتوراه من جامعة دنفر بولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية.

وعبد السلام عبد الغفار هو أستاذ الصحة النفسية ، وعميد كلية التربية جامعة عين شمس ووزير التربية والتعليم ، ورئيس جامعة عين شمس ، وعضو مجلس الشورى ، ورئيس لجنة الثقافة والإعلام والسياحة بمجلس الشورى، وعضو المكتب السياسي وغير هذا من المناصب التي ارتقاها سيادته ، وأيضا هو مقرر المجلس القومي للتعليم ، ورئيس اللجنة العلمية الدائمة للتربية وعلم النفس ورئيس لجنة قطاع الدراسات التربوية وإعداد المعلم ، وعضو مجلس أمناء اتحاد الإذاعة

والتليفزيون ورئيس لجنة البرامج التعليمية ، ومقرر لجنة التربية بالمجلس الأعلـى للثقافة ، وغير ذلك من الإسهامات التي تنم عن الثقة في جدته فيما يقدمه من فكـر وعمل أيضا هو عضو في عديد من الهيئات والجمعيات العلمية والدولية ، ومستشار تحرير لعدد من المجلات العلمية الدولية التي كتبت عنه الكثير وأوردت سيرة حياته الغنية بالعطاء.

إنها رحلة نجوب فيها مع عالم فذ من علماء النفس العرب .. كـان اهتمامـه الرئيسي هو تفعيل حركة علم النفس ، ووظيفة علم النفس في عالمنا ودفـع علـوم النفس بعامة والصحة النفسية بخاصة . يقد سيادته نموذجا مؤسسا علي فهم حقيقي لطبية الإنسان، عبد الغفار لم يبدأ مسيرة حياته العلمية في مسار الصـحة النفسـية وتطبيقاتها من فراغ ، وإنما بدأ بالفكر فهو يؤكد في فهمه للطبيعة البشـرية علـي أهمية تكوين عقل الإنسان ، وعلي المكونات الفريدة التي يتميز بها الإنسان عن أي كائن حي آخر في قدراته العقلية المتميزة وفي عملياته العقلية .. وكان هذا المدخل الأساسي في كل دراساته.

عبد الغفار يؤكد في مسلمات فهمه للطبيعة البشرية أن حرية الإنسان مـن أهـم أبعاد شخصيته وهي من أهم محددات إنسانية الإنسان .. حرية القرار والقدرة علي تحمل مسئولية قراره واختياره هما جانبان متلازمـان فـي وجـوده الانسـاني. والإنسان في نظره دائم البحث عن معني لوجوده ، وهو دائم السعي لتحديـد هدفـه من الحياة ، الوجود في نظره هو الالتزام برسالة ما. وجود الإنسان ، يتمثـل فـي حريته في اختيار هدف لحياته يتفق مع المعني الذي يصل إليه في حياته ، ثم إلـزام نفسه بهذا الهدف والعطاء في سبيله ، وبقدر ما يبذل الإنسان في سبيل رسالته يحقق وجوده.

إن الحيوان لا يعطي إنما يأخذ أو يؤخذ منه ، أما الإنسان هو الذي يعطي بوعي وحرية وإرادة للالتزام بالهدف والعطاء في سبيله . إن إرادتا الوجـود والعطـاء محددان من محددات طبيعة الإنسان إن حققهما الفرد تلاشي شـعوره بـالاغتراب، وهذا أيضاً مدخله في أحد جوانب اهتماماته في الصحة النفسية وريادته لهـا وهـو ظاهرة الاغتراب والتعامل الارشادي مع الاغتراب لدى الشباب خاصة وأن أهم ما

يوصف به الإنسان، ويحدد طبيعته قدرته على الانفصال والسمو فوق تكوينه البيولوجي، وهو يسمو حتى يبلغ في سموه حد الالتزام بالرسالات السماوية، ويعتبر عبد الغفار هذا الجانب الروحي جانبا هاما من جوانب شخصية الإنسان وهذا الجانب قد استمر مع الإنسان منذ بدأت الخليقة حتى وقتنا هذا ويتخذ صورا مختلفة وهو من الجوانب التي هاجمها بعض علماء النفس وتخلي عنها البعض الآخر.

يتناول عبد السلام عبد الغفار الصراع النفسي كركن رئيسي من أركان الصحة النفسية واهتماماتها، ويقدم له رؤية جديدة فالصراع النفسي الذي يعانيه الإنسان هو صراع بين الوجود واللاوجود، وان ما يثير قلق الإنسان لا ينشأ من ماضيه إنما الذي يثير القلق هو الخوف من المستقبل وقد يصبح صراع الأفراد مع الحياة صراعا علي مستوي الحاجات البيولوجية، وقد يصبح قلق الإنسان خوفا مما قد تأتي به الأيام، فقد تصيب هذه المواقف إنسانية الإنسان بصدأ يتواري من خلفه جوهر الإنسان، ويصبح الإنسان غريبا عن نفسه، غريبا عن حياته، ضائعا في فراغه الوجودي لا يشعر من الحياة سوى قسوتها، وقد يضعف أمام هذه القسوة فيستسلم ليصبح شيئا، مجرد شئ، جزء من تلك الآلة الضخمة. تلك رؤية عالم في الصحة النفسية طرحت منذ حوالي ثلاثين عاما، وأعتقد أنها رؤية مستقبلية أيضا لعلم النفس وللبحث في الصحة النفسية والشخصية الإرشادية وتضميناتها.

عبد الغفار في هذا المنظور يقدم وجهة نظر بالطبع هي وجهة متفائلة، منظور متفائل للإنسان ولإمكانيات الإنسان علي الرقي والتقدم، وعلي الاستيعاب، وعلي صناعة الحاضر والمستقبل. وجهة نظر ترى أن الإنسان له من القدرات الابتكارية والإرادة القوية ما يستطيع عن طريقهما التغلب علي مواقف الحياة وظروفها مهما بلغت شدتها وقسوتها، ويتساءل: لعل السؤال الذي يستحق أن يثار هنا هو كيف يمكننا كمربين وكمسئولين عن أجيال أن نربي أبناءنا وأن نبني رجالنا بحيث يصبحون أقوياء واعين بمعني حياتهم حاملين رسالتهم.

عبد الغفار في تقديمه لنموذجه في الصحة النفسية المؤسس علي مفهوم إنساني للإنسان يرتكز علي محورين أساسين، ديناميات الصحة النفسية وركائزها عنده

تكمن في جانبين، ثراء الوجود وثراء العطاء .. لم أجد مسمي أو عنوانـا حتـى أصف تقديري وتقديمي لأستاذي وتوحدي معه إلا في هـذين المعنيـين ،الوجـود والعطاء.

يرى عبد الغفار في إرادة الوجود المعني الذي يدفع الإنسان في حياتـه والـذي يصل إليه من حياته ، فالإنسان دائم السعي لمعرفة معني الحيـاة بالنسـبة إليـه ، الإنسان دائم السعي في معرفة ما يدفعه للحياة ، والنضال معها ، وتحمل ما يواجهه من مشقات ، الإنسان دائم السعي للوصول إلى تحديد هدف له في حياتـه ، وهـذا الهدف يكون بمثابة رسالته في الحياة . إن إرادة الفرد في اكتشاف معنـي حياتـه لرسالة يحملها ، والدفاع عنها ، وتحقيقها ، وإدراكه لهـا ووعيـه بهـا أرادتـه لتحريكها هو ما يحركه باستمرار ويدفعه إلى الحياة ، فليست الحياة إذن بحاجـة أو رغبة تشبع فتكف عن الدفع إنما هي إرادة دائمة الدفع ، صـيرورة طالمـا يريـد الإنسان ، هي إرادة الوجود هذه هي حالة الإنسان التي يراها عبد الغفـار كفلسـفة لعلم النفس ، والصحة النفسية وتلك في نظرنا ليست فلسفة من القرن الماضي بـل أعتقد أنها فلسفة أيضا لعلم النفس والصحة النفسـية فـي مطلـع القـرن الحـادي والعشرين ، هذه حياة الإنسان التي يعيش وجوده ، كما يعيش الإنسان ، ولا يكـون غريبا عن نفسه وعن حياته ، فوجود الإنسان يتحقق في التزامـه بمعنـي لحياتـه، بهدف ورسالة يعمل علي تحقيقها ، بل إن وجود الإنسان يكون في أمانته وصـدقه في هذا الاتجاه بمعني ألا يكون التزامه كالقناع تتواري من خلفه أهـداف أخـري فهو لا يخدع إلا نفسه ، هذه هي إرادة الوجود ، وهي الدافع الأساسـي والرئيسـي الذي يدفع الإنسان في حياته.

يقدم عبد الغفار الركيزة الأخرى للصحة النفسية ولصيرورة الصـحة النفسـية، ولحسن توضيح طاقاتها وهي إرادة العطاء ، ويبدو أن إرادة الوجـود كمـا يـري سيادته هي تلك القوي الدافعة التي تدفع الفرد إلي البحث عن معني في حياته يحـدد له هدفه من الحياة – ذلك الهدف الذي يلتزم به في حياته طواعية واختيارا ، ترتبط ارتباطا وثيقا بقوة دافعة أخري تكملها وتعطيها روعة وجمالا ، هذه القـوة يطلـق عليها إرادة العطاء ، إذن هو وجود وعطاء ، إرادة العطاء هي قوة دافعة تدفع الفرد

إلى العطاء رغبة في العطاء ، العطاء الأمين الذي لا يخفي من خلفه مطامع أو أية أهداف أخري ، إنه العطاء لمجرد العطاء ، وليس العطاء الهادف ، وسيطرة من يعطي علي من يعطي له ، والعطاء فعل واع اختياري ، وهذا من أهم ما يميز إنسانية الإنسان ، فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد فيما نعلم الذي يعطي بوعي وحرية وإرادة ، تلك هي ركائز أساسية للصحة النفسية ، وأعتقد أن عبد الغفار يتكلم عن ذاته ويجسد ذاته في كل سيرته وفي كل مسيرته في مجال العمل الجامعي الأكاديمي أو في مجال العمل التطبيقي الذي نقل به فكره وفلسفته إلى أرض الواقع بحثا وتطويرا وتنمية في مجالات متعددة يعجب المرء لها ويباركه علي ما حققه فيها من إنجازات.

لعلي و أنا أعايش أستاذنا منذ عام ١٩٦٤م حينما عينت معيدا بقسم الصحة النفسية وهو عائد من البعثة لمسنا فيه ذلك النموذج الواعد. لقد كنا في هذه الفترة – في تقديري- في حالة من السكون ، نسير علي المألوف وعلي التقليد، وعلي المطالعة ، لم نعرف أحدا يحاول أن يحركنا إلى ما هو جديد أو غير مألوف، فوجدنا في عبد الغفار مستقبلا جديدا ، وبسرعة التففنا حوله معجبين بشخصيته التي تحاول بابتكاراتها أن تغير واقع الكلية ، نجده في بعض الأحيان غير متوافق مع أوضاع لا يرضاها بإيجابية ، متمردا أحيانا بذكاء لإصلاح الواقع متحديا في أدب لظروف عشناها في هذه الفترة وهي فترة الستينيات ، وبسرعة كان موضع تقديرنا لشخصه وإعجابنا بعمله وبسعة صدره وبدعمه الذي لا حدود له، وأذكر أننا كنا نذهب إلى بيته ، يفتح لنا قلبه قبل أن يفتح لنا كتبه ، ونتسامر معه ونسمع منه ما لم نكن نسمعه من غيره.

أذكر علي سبيل المثال أن المنحي الذي كان يشيع بيننا في هذه الفترة هو المنحي السيكوديناميى في علم النفس وكنا نعرف أن من يتكلم عن التعلم فهو في الحجرة المجاورة لقسم الصحة النفسية في المنيرة ، أما التعلم في السلوكية وفي الإرشاد السلوكي وفي العلاج السلوكي فقد بدأ عبد الغفار ينبهنا إلى استخداماته، و يرشدنا إليه ويدفعنا إلى أن نرتاد آفاقا غير تقليدية غير موجودة في هذه المرحلة. من هذا

أطرح عديدا من الآفاق التي كما ذكرت تصعد بنا في رحابة الفكر ثم تنزل بنا إلـــى أرض الواقع تطويرا وتغيرا في حركة دينامية.

في الستينيات قدم عبد الغفار دفعة رائدة لما نسميه حركـــة التربيـــة الخاصـــة Special Education Movement في مصر والعالم العربي ، التربية الخاصة بقطبيها الإعاقة والتفوق فقد اهتم في هذه الفترة بقضية التعرف ، وكان لـــه عمـــلا مشتركا مع المرحومة الأستاذة الدكتورة هدي برادة وهنا ينبهنا عبد الغفار في هذه المرحلة المبكرة إلى قضايا واستراتيجيات التعرف المبكر من أجل التدخل المبكـــر لحماية ورعاية وتنمية ذوي الاحتياجات الخاصة ، وقدم أيضا فـــي هـــذه المرحلـــة كجزء من ريادة حركة التربية الخاصة ريادته لمجال الابتكار . ولي حديث عنها. كما قدم مقاييس معروفه أثرت البحث العلمي ليس فحسب في مصر بل وفي العـــالم العربي ، بل كان له أيضا تضمينات بالنسبة لأصحاب هذه المقـــاييس فـــي الـــدول الأجنبية ، عند كاتل وعند جيلفورد وغيرهم ، وله أيضا مرجع علمي معروف ، من أوائل الكتابات الأصلية في مجال التربية الخاصة وسيكولوجية الأطفال غير العاديين ناهينا عما استغرقته هذه البداية من رسائل علمية عديدة في مجالات الأطفال غيـــر العاديين مع الاهتمام بالتدخل. وبرامج التدخل والتنمية وأيضاً عبدالغفار هـــو عـــالم نفس في علم النفس لما قدمه من إسهامات لا حصر لها. أسس سيادته مدرسة علمية متميزة في ميدان البحث في سيكولوجية الابتكاري والانتـــاج الابتكـــاري والتفـــوق العقلي، وكذلك البحث في تنمية الشخصية المصـــرية مـــن المنظـــور الابتكـــاري، وحسبي أن هذا الاتجاه هو من أحد المعالم البارزة في الصحة النفسية والابتكار.

لن أتكلم عن هذا الفيض من الدراسات والبحوث التي قدمها ســـيادته أو قـــدمها تلاميذه ، ومن خلالها وصلوا إلي مستويات علمية وأكاديمية وإدارية متقدمـــة فـــي مصر وفي العالم العربي.

له نظرة في الابتكار مميزة لو استعرضناها لنجد أننا بتحليلها يمكن أن نقـــول أن سيادته قد سبق الكثير من الفكر في هذا المجال بما تم بحثه أو تنظيره فـــي مجـــال الابتكار.

عبد الغفار يقدم نموذجا للابتكار من أبرز ملامحه أنه يركـز علـي العمليـات العقلية في الأساس وما بها من قدرات عقلية ، وهو نموذج أيضا يرتبط بنمـوذج حل المشكلات في علم النفس والابتكار • والابتكار عنده ظاهرة مركبـة متعـددة الأوجه ، وهنا ينبهنا عبد الغفار إلى مأساة علم النفس في كل تاريخ علـم الـنفس ، وهي مخاطر الاختزالية للظاهرة النفسية ، بل يؤكد علي ضرورة تنـاول الظـاهرة النفسية كالابتكار ، كظاهرة مركبة متعددة ، أما التبسيط الزائد المخل بهـا فهـو لا يعطيها حقها من حيث الفهم الحقيقي•

يبرز عبد الغفار المكونات الانفعالية والدافعيـة والوجدانيـة ، العوامـل غيـر المعرفية للابتكار وهنا ألا يقترب هذا من النماذج ، من الاتجاهات التي تتكلم عن الذكاء الوجداني أو الجانب الوجداني في الذكاء والابتكار ، عبد الغفار قد أكد هـذا المنحي من أربعة عقود ، وله تلاميذه مما عملوا في هذا الجانب ، الجانب الوجداني والدافعي والانفعالي في الابتكار والذكاء • و يؤكد أيضا علي متغيـر البيئـة فـي الابتكار ، البيئة المواتية لنمو الابتكار وتنميته ، وحيث يقرر أنه إذا أردنـا ابتكـارا فلا بد أن تكون بيئة فيها حرية والتزام وعطاء وحوار ، وهـذا مـا يؤكـد عليـه سيادته• الدكتور عبد الغفار أيضا لم يتناول الابتكار من منظور دراسـات الوضـع الراهن ، أو الدراسات الوصفية الارتباطية العالمية ، إنما نحي منحـي آخـر مـع تلاميذه وهو منحي التدخل في الظاهرة النفسية من أجل تغييرها وتعديلها وتحسـينها أو أن شيئنا تنميتها، أي التدخل من أجل تنمية الابتكار، أو تعليم الابتكار ، أو تربية الابتكار•

هذا الفيض من الفكر والرؤى العلمية والبحثية كان له انعكاسات مباشـرة علـي تلاميذه في عديد من الرسائل ، وعديد من بحوثه ، وهؤلاء الطلاب الذي صـاروا أساتذة في هذا المضمار وتناموا وأبدعوا في هذا المجال•

قلنا عبد الغفار عالم نفس في علم النفس ، وهو أيضا عالم نفس في التعليم ، فهو أستاذ الصحة النفسية الذي يقدم رؤية خاصة للتعليم ، ففي رأيـي أن مـدخل عبـد الغفار للتعليم و هو عميد كلية التربية ووزيرا للتربية والتعليم ، ورئيسـا لـبعض اللجان والمؤسسات العلمية التربوية مدخله مدخل صحة نفسية في الأساس و لابد أن

أذكر تجارب مماثلة في هذا الاتجاه ، فالولايات المتحدة الأمريكية حينمـــا أرادت أن تصلح التعليم عن طريق مكتب التربية في أوائل الخمسينات دعت اثنين من أساتذة الصحة النفسية وكتبوا تقريرا عن إصلاح التعليم ، وكان المدخل هو مدخل التوافق مـــع الحيـــاة ، أو مـــدخل حركـــة التوافـــق Life Adjustment Movement Education، ونعتقد أن مدخل الصحة النفسية في التعليم من ضـــرورات العمـــل التربوي.

عبدالغفار في إصلاح التعليم بدأ من كلية التربية جامعة عين شمس، بدأ من بيته، بناء البيت من الداخل، بيت التربية، وكانت له لمساته في ثلاث فترات متتالية، مـــن عمادة هذه الكلية، كلية التربية الأم، وهي عمادة بالانتخاب حيث أنشأ في هذه الفترة من عام ٧٧/٨٤ أول مجلة علمية محكمة في التربية تحت أسم مجلة كليـــة التربيـــة جامعة عين شمس ، و قام بحركة تحديث لإمكانيات ومعامـــل وأجهـــزة ومكاتـــب الكلية، وأنشأ أول مركز للحاسب الآلي بكلية التربية جامعة عين شمس ، وفي هـــذه الفترة المبكرة استطاع أن يعطي فرصة لمعظم أعضاء هيئة التـــدريس فـــي كليـــة التربية علي اختلاف مراتبهم من المعيدين إلى الأساتذة ، لكي يروا خبرات أجنبيـــة في رحـــلات وزيارات عملية متبادلـــة حركة رائعة استطاع بذكائه وبحكمته أن يحسن استثمارها ، وأن تكون هناك فرصة للتمويل الخارجي في دعم التعليم ، كيف أحسن استثمار هذا الدفع ، أو هذا السند في تنمية أعضاء هيئة تدريس بكلية التربية؟ وأعتقد أن هذا العطاء قد صار أثرا ممتدا حتى يومنا هذا . أمـــور كثيـــرة قـــدمها سيادته في هذا المجال . أيضا توجه إلي إصلاح التعليم خارج كلية التربيـــة مـــن خلال عدة وثائق تدعو إلى حركة علمية لإصلاح التعليم يتمثل هذا في تقرير قدمـــه عام ١٩٧٩م وهو عميد كلية التربية جامعة عين شمس عن "التعليم في مصر دعوة إلى حوار" أي أن التعليم لا يأتي من فوق أو يبدأ من الكتب ، وإنما هو حوار بـــين الخبراء والمهتمين والمهمومين بالتعليم . ويتضمن هذا التقرير قضـــايا ومشـــكلات رئيسية لواقع التعليم في مصر ، ولآفاق إصلاحه وتطويره ، فقد كانت تلك الوثيقـــة القومية أساسا لتنظيم ندوات ومناقشات ، وعمل دراسات عن تطـــوير التعلـــيم فـــي مصر، وهذه الحركة العلمية الهادفة إلى تطوير التعليم في مصر واستمرارا لريادته

في هذا العمل القومي ، قدم سيادته وثيقة السياسة التعليمية في مصر عام ٨٤/٨٥ – حينما كان سيادته وزيرا للتربية والتعليم وهي استراتيجية علمية لتطوير التعليم في مصر استنادا إلي ظروف ومعطيات التعليم واسترشادا بمستحدثات ونماذج التعليم العصري ، ومواءمة مع واقعنا التعليمي والثقافي ، وحسبنا أنه قد وضع لمسات أو معالم رئيسية عن الوزارة وسياستها لتكون سياسة وزارة وليست سياسة الوزير، قدم سيادته مفاهيم كثيرة مثل حاجة التعليم إلى مشاركة شعبية ، وإلى دعم شعبي، والى دعم شعبي والي جهود الميسورين وقطاع الأعمال ، كان أول من نبه إلى الجهود الذاتية ، وإثارة الجهود الذاتية ،وفي تقديرنا أن التعليم لا يمكن أن يتقدم إلا من خلال المشاركة الشعبية غير الحكومية وكان هذا دفعة لحركة التعليم، صارت تتنامي في سياق سياسة الوزارة.

قلت أن مدخل عبد الغفار لإصلاح التعليم هو مدخل صحة نفسية ، وواضح هذا في المشروع الذي توجه به إلى رفع كفاءات معلمي المرحلة الابتدائية ، حيث ارتقي بمعلمي هذه المرحلة من معلم يحمل شهادة متوسطة إلى معلم يعتز بدرجته العلمية والمهنية العالية وذلك في اطار خطة قومية بأسلوب غير تقليدي لأول مرة في مصر ، وهو نظام الجامعة المفتوحة الذي يقوم علي التعليم عن بعد ، ناهينا عن القول بأن التنمية الشخصية والمهنية لمعلمي المرحلة الابتدائية كما يهدف هذا المشروع هي تطوير بالتالي للتعليم الابتدائي في مصر ، ومن ثم في تنمية الطفولة في تلك المرحلة التكوينية الهامة لنمو شخصية الإنسان المصري ، ولا يغيب عن أذهاننا أن ترقية أو تنمية مفهوم الذات المهنية عند المعلم ركن أساسي من أركان تفعيل التعليم وحقيقة أن تنمية واقع التعليم في مجتمعنا قد بدأ من هذه المرحلة الهامة ، وكان لهذه التجربة أو المشروع العالمي الذي أحسن استثماره بذكاء، وبحكمة المواطن الواعي المهتم والمهموم بقضايا بلده ، حيث كتبت عنها الكثير من المراكز الدولية مثل مراكز البحوث والتنمية الدولي بكندا تحت عنوان With Our All Handsكتاب صدر في هذا المجال ، وفيه تقديم لهذا المشروع وتقدير له، بحوث كثيرة في مجال التعليم ، قادها عبد الغفار حينما كان عميدا لكلية التربية

حيث كون فرق عمل تضم باحثين وأساتذة وخبراء ذمـي تخصصـات وخلفيـات مختلفة وذلك لوضع خطط قومية لمشروعات تحديث وتطوير التعليم في مصر.

قام بالإشراف علي، والاشتراك في، عدد من البحوث التربوية التي أجريت علي المستوى القومي وذات توجه عملي وتطبيقي ، وقد شاركت فيها فرق بحثيـة مـن أساتذة التربية بلغت غي عددها في أحد البحوث ١٣٥ فردا – وتعتبر هذه البحوث رائدة في البحث التربوي سواء من حيث (المستوى القومي) أو مـن حيـث عـدد المشتركين فيها (البحوث الجمعية) وتتناول هذه البحوث مشكلات التعليم في مصـر وتطويره ، ونذكر من هذه البحوث : معلم المرحلة الثانية (ونشـر عـام ١٩٧٩)، وتقويم كفاءات التدريس لدى معلمي المدارس الابتدائية في عام ١٩٨٢ .وقد مولـت هذه البحوث من مصادر تمويل خارجية.

وقد أسهم سيادته بجهود متميزة في دعم وتطوير العمل الإكلينيكي فـي العيـادة النفسية الملحقة بقسم الصحة النفسية (أنشئت في عام ١٩٣٤) كأول عيـادة نفسـية تقود حركة الإرشاد والعلاج النفسي بالشرق الأوسط سـواء بخبرتـه الأكاديميـة والمهنية في مجالات الإرشاد والعلاج النفسي، أو في تقـديم البـرامج الإرشـادية والعلاجية لحالات اضطرابات الشخصية وانحرافـات السـلوك ، أو فـي تـدريب الأخصائيين والمرشدين النفسيين للإعدادهم ككوادر للعمل فـي مراكـز الإرشـاد والخدمة الاجتماعية والعيادات النفسية.

وإبان عامي (١٩٨٨/٨٧، ١٩٨٩/٨٨) ، حينما أسندت إليه جامعة عين شـمس مهمة الإشراف علي مركز دراسات الطفولة كمدير لهذه المراكز– قاد سيادته حركة تنشيطية لهذا المركز تمثلت في عدد من مشروعات البحوث في الطفولة كما تمثلت في ثلاث مؤتمرات قومية المؤتمر السنوي الأول للطفل المصري (مارس ١٩٨٨)، المؤتمر السنوي الثاني للطفل المصري (مارس ١٩٨٩) وكذلك رئاسـته للمـؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري (١٩٩٠). وقد صدرت أعمال كل من المـؤتمرات الثلاث في ثلاث مجلدات كبيرة ويبلغ عدد الدراسات والبحوث المتضمنة فـي تلـك المجلدات الستة (وهي تلك الدراسات والبحوث التي خضعت لإجـراءات التحكـيم العلمي من قبل لجان عملية متخصصة) ما يزيد علي مائة وخمسـين بحثـا علميـا

تتناول ميادين الطفولة المختلفة – التربوية والنفسية والاجتماعية والثقافية والصحية بالإضافة إلى ميدان الأطفال المعوقين • كما صدر عن هذه المؤتمرات ثلاثة تقارير هي بمثابة وثائق عن واقع الطفولة في مصر وعن استراتيجيات وخطـط التنميـة الشاملة للطفل المصري • واستمر سيادته يقود هذه الحركـة حتـى وصـل عـدد المؤتمرات إلى ستة مؤتمرات سنوية•

وقد تولى سيادته رئاسة فريق بحث "الاغتراب عند الشباب" و "مظاهر الإسـاءة عند الطفل المصري" – وهما مشروعان بحثيان علي المستوي القومي بين جامعـة عين شمس وأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا•

قلنا أن عبد الغفار عالم نفس في علم النفس ، وعالم نفس في التعليم ، وهو أيضا عالم نفس في الثقافة فعبد الغفار يتحرك بعلم النفس إلي عالم الثقافة والتنمية الثقافية لنرى فيها البعد النفسي والإنساني بعمق وحيث يؤكد سيادته علي قضايا كثيرة فـي التنمية الثقافية ، وفيما قدمه كرئيس للجنة الإعلام والثقافة والسـياحة فـي مجلـس الشورى عن وثيقة تطوير الثقافة أو التنمية الثقافية في مصر والتي كتبـت عنهـا كل المؤسسات والهيئات النيابية أو المسئولة في الدولة•

يؤكد عبد الغفار في هذه الوثيقة القومية علي الثقافة باعتبارهـا أسـلوب حيـاة، ويؤكد علي مرتكزاتها في تاريخنا الممتد إلى أغوار الماضي ،يؤكد فيها علي أصالة هذا البلد معلم الحضارة الإنسانية ، يؤكد علي العمق في شخصيتنا القوميـة وعلـي اللغة العربية، و القيم الدينية والروحية كمرتكز أساسي، يؤكد فيها علـى التفاعـل والحوار بين الثقافات والحضارات لا الصدام، وأعتقد أن هذه رؤية متجسـدة فيمـا قدمه في هذا التقرير، وهي لغة الحوار – فكما كان مدخله إلى التعليم مـن خـلال الحوار فهو أيضاً يتعامل مع الثقافة من خلال الحوار والتفاعل، تكلـم فيهـا عـن العولمة لا من حيث اتخاذ موقف متميع من تغيرات العصر ، أو موقف المسـتقبل السلبي، أو موقف الرافض المتحفظ ، بل كان موقفه هو موقف الإنسـان الـواعي الحكيم الذي يمكن أن يستثمر معطيات العصر فيما يتلاءم مع الهويـة الحضـارية والشخصية القومية، تأخذ وتعطي ، تحافظ علي ذاتها في تنام وتقدم ، وفي تحقيـق للذات إرادة وجود، وإرادة عطاء•

تلك هي ملامح أساسية عشتها مع أستاذي وأخي ، وزميلي ، رحلة في وجدانه، في عقله، في سموه، في إبداعه، وأيضا رحلة في عظمة ما بني ، ومـــا قـــدم فـــي قسمه، وفي كليته وفي وزارته وفي موقعه السياسي، وأيضا في جميع المواقف التي يتفاعل فيها ، وينفعل بها ويعمل من أجلها.

حقيقة عبد الغفار هو نموذج مصري أصيل ، يحتذي في علمه ، وفـــي عملـــه، وفي سيرته وفي مسيرته ، وأنا هنا أدعو له بموفور الصحة والسعادة، وأن يكـــون نموذجنا يتكرر ويحتذي منا جميعا ، ومن أبناء هذا البلد العظيم . وشكرا.